الإطار النظرى للدراسة

◘ محاولة تعريف الابتكار

تعددت التعاريف التى تناولت العملية الابتكارية ؛ مما أدى إلى صعوبة التوصل إلى تعريف ، يمكن أن يقال عنه جامعا مانعا ، ولهذا الاختلاف مغزاه عندما نعرض لبعض هذه التعاريف .. فإننا سوف نلاحظ أن هناك وجهات نظر حول كل تعريف ؛ مما يؤدى إلى الاتفاق فى نقاط والاختلاف فى أخرى ، فنجد (فروم ١٩٥٩) ، يرى أن الابتكار على وجه العموم هو القدرة على أن ترى وتتجاوب .

والرؤية والتجاوب عنده تعنى على حد قوله « إننا ينبغى أن نخلص أنفسنا من الاعتبارات الذاتية ، عندما نتناول عملا مبتكرا ، ونتعود أن نرى ابتكار أى شخص بطريقة موضوعية ، ثم يضع فروم شروطا لمثل هذا الاتجاه ، تتبلور فى العناصر الآتية :

- ❖ القدرة على التساؤل والدهشة .
- ❖ القدرة على التركيز .
- ❖ القدرة على تقبل الصراع والتوتر الناجم ، عن الجمع بين المتناقضات .
- ❖ القدرة المستمرة على التجديد .

◘ القدرات الابتكارية للكفيف

ويقدم (روجرز ١٩٥٩) تعريفا للقدرات الابتكارية من خلال تنظيم الشخصية ؛ حيث يرى أن المظاهر المتكاملة للشخصية هى بمثابة مؤشرات صادقة للقدرات الابتكارية ؛ فالشخص المبتكر هو الشخص الناضج انفعاليا ، وهو الذى يشعر بالألفة فى العالم الذى يعيش فيه ، كما يشعر فى الوقت ذاته بالوئام مع نفسه ، ويعرف روجرز الابتكار اعتمادا على هذا التصور السابق بأنه بمثابة « إنتاج جديد

نسبيا ، نابعا من فردية الشخص من جهة ومن المواد والحوادث ، والناس ، أو ظروف الحياة المختلفة من جهة أخرى .. إلى جانب أن تأكيد قبول الجماعة ورضاها للإنتاج المبتكر من الأمور الضرورية والمهمة ، على الرغم من أن القيمة الابتكارية قد تتغير بتغير الظروف[1] .

ويتفق (شتاين ١٩٦٨) على أن (الابتكار بمثابة العملية التى ينتج عنها عمل جديد يرضى جماعة ما ، أو تقبله على أنه مفيد) ، ويقدم (المليجى ١٩٦٨) نقلا عن فوكس « تعريفا للابتكار على أساس أنه عملية تفكير من شأنها أن تحل مشكلة ما بطريقة أصيلة ومفيدة » ، وتتفق مع هذا التعريف (آن رو ١٩٤٦) فتقرر « أن العملية الابتكارية هى أقرب ما تكون إلى حل المشكلة ، ولكنها تختلف عنها فى عدد الخطوات لأننا فى حل المشكلة يكون الهدف المراد حله واضحا ، أما فى العملية الابتكارية ، فليس هناك مثل هذا الهدف الواضح » .

ويقدم (عبد الغفار ١٩٦٤) تعريفا للابتكار مؤداه :

إن الابتكار هو عملية يحاول فيها الإنسان أن يحقق ذاته ، بتوظيف إمكاناته من أفكار وطاقات ، ثم التفاعل مع ما يحيط به من مثيرات ؛ لكى ينتج إنتاجا جديدا بالنسبة إليه أو بالنسبة لبيئته ، على أن يكون هذا الإنتاج نافعا للمجتمع الذى يعيش فيه .

وبالنظر إلى هذه التعاريف السابقة ، سوف نجد أنها قد اتفقت على عدة نقاط مهمة هى :

❖ الأصالة :

بمعنى أن الابتكار هو عملية خلق شىء جديد ، سواء كان اختراعا أو فكرة ، فلابد وأن يكون أصيلا ، فدون الأصالة لا يوجد ابتكار .

(١) ارجع إلى بحوث ودراسات فى الابتكار ، الدكتور سيد صبحى ، عالم الكتب ٩٧٨ ، ص٣٢ .

❖ **التفاعل مع البيئة وتطويرها :**

ارتبط الابتكار كما أوضحت التعاريف السابقة بدرجة التفاعل ، التى تجعل الشخص المبتكر على وعى عميق بالعالم الذى يعيش فيه ؛ بحيث يصبح الابتكار ثمرة لهذا التفاعل الذى يحدث بين الفرد وبيئته .

❖ **العمل على توصيل الإنتاج المبتكر إلى الآخرين :**

أكدت التعاريف السابقة ضرورة أن يكون الإنتاج هو المعيار الأساسى للشخص المبتكر ، إلى جانب أن القبول الاجتماعى من الأمور الضرورية لهذه الأفكار أو النتاجات الابتكارية .

❖ **القدرة على حل وإدراك المشكلات :**

ومن الملاحظ أيضا على بعض التعاريف السابقة أنها تؤكد ضرورة أن تسهم الأفكار أو النتاجات الابتكارية فى حل المشكلات ، وتعمل على التخفيف من حدتها وإيجاد أنسب الحلول لها .

وإذا كنا قد عرضنا هذه التعاريف للابتكار .. فإننا نحاول من خلال هذا العرض ان ننبه إلى أن الكفيف شأنه شأن المبصر ، لابد وأن تتمتع أفكاره ونتاجاته الابتكارية بكل هذه الخصائص ، التى وردت من خلال عرض وبلورة التعاريف السابقة ، إلى جانب أننا لابد من خلال البرامج التعليمية والمناشط التى يمارسها داخل المدرسة من أن تعمل هذه البرامج وتلك المناشط على احترام إحساس الكفيف والكفيفة ومخاطبة وجدانهما ، مخاطبة من شأنها أن تعايشهما وتتفاعل معهما ، وأن نعمل على تنمية الوعى الحسى لديهما الذى بفضله يتلمسان العوالم المحيطة بهما عن وعى وفهم فيسهل التعامل معهما .

أن نعمل على تقوية خيالهما وقدراتهما على أن يضيفا من أنفسهما إلى الأشياء تحسينا ، وأن تضيف هذه الأشياء على نفوسهما ، على أن تتم هذه العملية فى شمول وتكامل تحت ظروف نفسية اجتماعية ملائمة .

من هذا المنطلق يتحدد لنا الكفيف المبتكر ؛ بحيث يصبح ذلك الذى يتمتع بنتاجات تتميز بالجدة والأصالة والمرونة والطلاقة .

◘ المناخ الاجتماعى وضرورته للكفيف

ولقد اتخذ مسار تطور الجنس البشرى اتجاها خاصا نحو ما يقدمه الأفراد من بنى الإنسان من إنجازات وابتكارات أثناء عملية التطور الاجتماعى والتاريخى ، بحيث أصبحت هذه العملية تتجسد فى شكل المنتجات المادية والروحية ، وما ينتج عنها من أدوات للإنتاج ، ووسائل اتصال متنوعة ، من لغة ، وحضارة وعوامل ثقافية متعددة ومتنوعة . ومن هذا المنطلق .. فإن المنجزات البشرية التى شكلت هذا التطور البشرى الهائل ، لم تعد تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق العوامل الوراثية ، التى تنعكس بدورها على الكيان العضوى للإنسان ، وإنما أصبحت تنتقل عن طريق نوع آخر من الوراثة ، تسمى بالوراثة الاجتماعية Social Heridity .

وإذا كان البعد الاجتماعى هو المحور الرئيسى لتفاعل الإنسان مع البيئة ، وهو الذى يعمل على إكسابه قدرا من القدرات والخبرات يمكنه من إعمال فكره وتوظيف قدراته العقلية ، فإن النظرة إلى المكفوفين لابد وأن تتغير بحيث نقف منهم الموقف الذى يساعدهم على الاندماج مع الجماعة ، والخوف من تقديم أفكارهم وانطلاقاتهم الأصيلة .

ولعل هذه النظرة الخاطئة للمكفوفين والتى أسلفنا ذكرها وحذرنا من التشبث الخاطئ بها ، والتى ترى أن الكفيف بحكم فقدانه للبصر يعتبر – إلى حد ما – معزولا عن العالم الواعى ، نظرا لعجزه الذى لا يتيح له إدراك العالم الخارجى كما يدركه

المبصر ، فهو فى حدود هذه النظرة الخاطئة لا يدرك من العالم المحيط به إلا تلك الجوانب التى يمكن لحواسه التى يملكها أن تقدمها إليه ، وهذا يعنى أنه لا يدرك من العالم الواقعى الأشياء التى تقتصر فقط على حاسة الرؤية ، وبالتالى فهو لا يستطيع أن يدرك العالم المحيط به ، أو يكون فى مقدوره تكوين شبكة من العلاقات التى يمكن أن تقوم بين الأشياء !!

ويلعب المناخ الاجتماعى الملائم دورا مهما وأساسيا فى تجهيز قدرات الكفيف الابتكارية ، الأمر الذى يجعلنا ننبه إلى ضرورة الاهتمام بواجبات التعليم الاجتماعى للمكفوفين بغية التوصل إلى أعلى درجة من التكيف النفسى والاجتماعى للكفيف ، وتكاد تكون الأسرة التى يعيش بين أحضانها الكفيف والكفيفة هى الحضن الاجتماعى الأول ، وهى التى تساعدهما على تحقيق التكيف الاجتماعى السليم ، بل وتمدهما ببعض العوامل الخارجية التى من شأنها أن تزيد قدرتها على التكيف ، مثل : تأثير المظهر وسلوك زملائهما المبصرين على وضعهما الاجتماعى ، ومصيرهما ، وقدراتهما التحصيلية وتفاعلهما معهم .

وبطبيعة الحال تتوقف طرق التكيف الاجتماعى للكفيف فى أسرته على مدى استعداد الأسرة لتقبل حقيقة (العمى) ، وعلى مدى ما تقدمه من شرح وتوجيه من شأنهما أن تساعده على السلوك الإيجابى من حيث استخدامه للحواس الباقية ، ومن هذا المنطلق نجد أن التكيف الاجتماعى يرتهن بمدى تنفيذ واجبات الرعاية الاجتماعية للكفيف تلك التى تتم من خلال التوجيه والإرشاد ، ثم الإيضاح والتفسير .

ولعل الرسم التخطيطى الآتى يوضح لنا المحاور الرئيسية لهذه الرعاية الاجتماعية للكفيف .

الرعاية الاجتماعية للكفيف

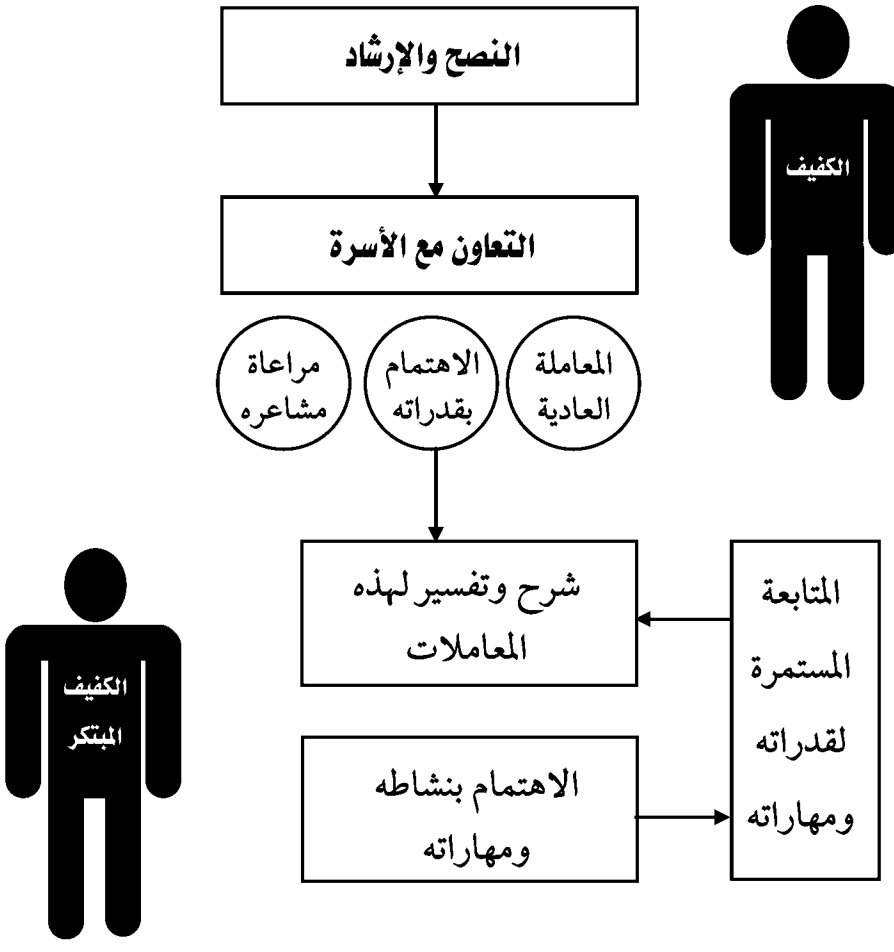

ويلاحظ أيضا أن هذه المحاور تتطلب من المهتمين بشئون الكفيف ضرورة مراعاة اتباع كل الطرق والسلوك المناسبة للتربية والرعاية الاجتماعية للكفيف وخاصة الاهتمام بتدريب حواسه الباقية ، والعمل على تشكيل كل الوسائل والطرق الصحيحة وتوظيفها بطريقة سليمة ؛ لكى تساعد على نمو شخصية الكفيف بعيدا عن كل العوامل التى قد تؤدى بالكفيف إلى الشعور بقصور فى الشخصية ، أو ما قد يتبع هذا من إحساس بالعجز أو شعور بالدونية أو الذنب ، أو العزوف عن المشاركة فى الحياة الاجتماعية بفعالية وجهد وابتكار ، وأن يتم كل ذلك من خلال مضاعفة الجهود ، عبر تزويده بالخبرات المتعددة والتى توظف حواسه توظيفا يمكنها من الإنجاز والتقدم .

ولما كانت الواجبات الرئيسية للتربية الاجتماعية تعتمد على ضرورة الاهتمام بكل ما من شأنه أن ينمى شخصية الكفيف ، ويعمل على تقدمها .. فإننا لابد من الاهتمام بتحديد تلك الواجبات ، التى من شأنها أن تساعده على التكيف السليم ، وتنحصر هذه الواجبات فى كل ما من شأنه أن يحقق التكامل لشخصية الكفيف من الناحية البدنية والعقلية ، والناحية الأخلاقية القيمية . ثم تجهيزه وإعداده بطريقة سليمة ؛ لكى يصبح عضوا نافعا ومنتجا للمجتمع الذى يعيش فيه .

وجدير بالذكر ، أن كل واجب من هذه الواجبات التربوية والاجتماعية والنفسية ، لا يمكن أن ينفصل عن الآخر ، كل منهما يمثل خيطا رئيسيا فى شبكة العلاقات المتفاعلة ، والتى فى تكاملها وتشابكها تكمل بعضها الآخر ؛ لتكون الشخصية المتكيفة والسوية للكفيف[1] .

(١) ارجع إلى : Cust Forth, T., D., The Blind In School and Society, New York, American Foundation for the Blind, 1970.

والذى لا شك فيه أن الاهتمام بتنمية هذه الجوانب سينعكس آثاره على الكفيف فيجود من قدراته ويحسن من مهاراته ، ولعل المناشط التى تقدم للكفيف والكفيفة خلال الدراسة ، تعطينا صورة صادقة لهذه التنمية الواعية لقدرات الكفيف والتى تنعكس آثارها على كل أعماله وإنجازاته وتصرفاته[١] .

واعتمادا على تدريب الكفيف وتأهيله بطريقة سليمة ، نستطيع الوصول إلى تنمية قدراته ، « فإن عدم الإبصار ليس دائما عاملا معوقا ، بل على العكس ثبت أن كف البصر من الممكن أن يكون إحدى أساسيات الابتكار الفريد »[٢] .

وإذا كنا فى هذه الدراسة نحاول أن نثبت أن القدرات الابتكارية (من طلاقة وأصالة ومرونة)، والتى أثبتتها الدراسات التى أجريت على العاميين من المبتكرين ، فمن الممكن أن نجدها لدى الكفيف ، إذا أعد الإعداد السليم ، وإذا تهيأت له الظروف الملائمة .

وهناك من الدراسات التى أثبتت أن الكفيف إذا أعد هذا الإعداد السليم ، فإنه ينتج إنتاجا ابتكاريا لا يقل عن زميله المبصر ، بل هناك دراسة أثبتت أن هناك مجموعة من الفنانين المكفوفين تؤكد قدرة الكفيف على الابتكار فى مجال الفن التشكيلى ؛ مما يجعلنا نجهز أنفسنا للتأكد من أن أكثر الأعمال الأصيلة المبتكرة التى ولدت فى عقل الشخص الكفيف وأنتجت بيديه ، تعتبر ذات قيمة وأصيلة ، وتجعله يتمتع بالجدة والمهارة، وأن الدراسة أثبتت أن الإنتاج المبتكر للصورة الذهنية أعظم بكثير من التسجيل الواقعى[٣] ؛ الأمر الذى يجعلنا نتقدم بدراستنا التجريبية بغية التوصل إلى

(١) د. سيد صبحى : التوافق النفسى للكفيف المراهق وعلاقته ببعض المناشط ، مطبوعات المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين ، ١٩٧٧ .

(2) Lowenfield, W. «Creative and Mental Growth, The Macmillan Company, New York, 1970.

(٣) سميرة أبو زيد : أثر الخبرة البصرية فى التعبيرات الفنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالى للتربية الفنية ، ١٩٧٢ ، ص٣ .

القدرات التى تميز الكفيف المبتكر ، وقد جعلنا الفرق الأساسى بين الكفيف المبتكر وغير المبتكر مدى حصوله على أعلى الدرجات فى اختبارات التفكير الابتكارى ، ثم القيام بدراسة كلينيكية متعمقة لأعلى الحالات قدرة على التفكير الابتكارى وأقلها ؛ بغية التوصل إلى مجموعة الظروف التى قد تساعدنا على تنمية ذوى القدرات الابتكارية من المكفوفين ، والعمل على زيادة ذوى القدرات الأقل ، ولعل هذا يؤكد لنا ما تهدف إليه الدراسة الحالية من تنمية قدرات الكفيف ، ومحاولة النهوض بها .وتتحدد هذه الدراسة بالعينة المستخدمة وهى من طلاب مدرسة المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين وطالبات مدرسة النور والأمل ، وطلاب المدرسة الإعدادية للنور بالزيتون .

كما تتحدد بالقدرات العقلية التى تقاس بالمقاييس المستخدمة .